خطبة: الانصاف من النفس جوهر الورع

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

العدل أسمى مقاصد الشريعة الإسلامية ، فهو القاعدة الأساس في الأحكام الشرعية ، والمقصد الأول للقضاء ، والقيمة الأهم في العلاقات الاجتماعية ،،

والإنصاف من النفس تجسيد عملي لتمكّن قيمة " العدل" في النفس بأبهى صورة ، لأن أشد الحقوق ماكان على النفس ، وأصعب الحقائق ماكان عليها لا لها ، وأشد المعاناة ماكانت ضد هوى النفس وكبريائها ،

لذلك جاء التوجيه الرباني -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [النساء:135].

وضع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدةّ ذهبيةً في نجاح العلاقات الاجتماعية تنطلق من خلق الانصاف من النفس ،

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فمَن أحَب أن يُزحزَح عن النار ويدخل الجنة، فلتأتِه منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه))؛ رواه مسلم[1].

اذا عامل المرء غيره كما يحب أن يُعامل هو فلن تقع إساءاتٌ ولامظالمٌ ولاتعدٍ على الحقوق ولاغيبةٌ ولانميمة ولاغيرها من الإساءات الإجتماعية .

أوصى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أبنه الْحَسَن: "يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ، وَقُلْ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ" [نهج البلاغة:640].

ومن هنا جاءت دعوة شعيب عليه السلام لقومه صريحةً واضحةً، حينما قال:  وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [هود:85]. لم يدعهم للعدل في ميزان البيع والشِّراء فحسب ، بل دعاهم للإنصاف وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ في حقوقهم المعنوية والمادية ،

ولايكون ذلك الانصاف للغير إلا إذا أنصف المرء من نفسه وتغلّب على اهوائها ، ولذلك فإن التطفيف المنهي عنه في قوله تعالى وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6)

هو تطفيف ،كذلك، في المعاملة وعدم بخس الحقوق التي للغير

جعلنا الله وإياكم من أهل العدل والإنصاف ، ووفقنا لما يحب ويرضى وأعاننا على البّر والتقوى ، اقول ماتسمعون واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

الإنصاف من النفس يقتضى تجّردَ المرء من أهواءِ النفس والاخلاص لله تعالى ، وتأملوا هذا الموقف :

عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: ((كنت جالسًا عند النَّبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر (فسلَّم، وقال: إنِّي كان بيني وبين ابن الخطَّاب شيءٌ فأسرعت إليه ثمَّ ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ، فأقبلت إليك.

فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر. ثلاثًا، ثمَّ إنَّ عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا. فأتى إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم فسلَّم، فجعل وجهُ النَّبي صلى الله عليه وسلم يتمعَّر حتى أشْفَق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم. مـرَّتين، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله بعثني إليكم، فقلتم: كَذَبْت. وقال أبو بكر: صَدَق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مـرَّتين، فما أُوذي بعدها))

قال العيني: ((حتى أشْفَق أبو بكر)) أي: حتى خاف أبو بكر أن يكون من رسول الله إلى عمر ما يكره . أرأيتم عباد الله هذا الرقي والسمو والانصاف من أبي بكر تجاه عمر ، في عدم التشفي وإنتهاز الفرصة للنيل منه ، ومن عمر مع أبي بكر في سرعة الأوبة منه وذهابه بنفسه ليتسامح منه دون تكبر وتمنع ،

وهكذا يكون ذوي الإنصاف الأتفياء الحكماء ذوي الإيمان العميق والمجاهدة لأهواء النفس وكبريائها ، إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار .